الكورد في العراق: الاستقلال او الحكم الذاتي

ان هذه الورقة تناقش المأزق الذي يواجهه الكورد في العراق: الضغط باتجاه الاستقلال أو تعزيز الحكم الذاتي. ففي أعقاب الحرب العالمية الاولى، خسر الكورد طموحهم في الاستقلال. سنوات بعد ذلك، كانت فظاعات صدام حسين ضد الكورد وراء ظهور دولة الأمر الواقع في كوردستان شمالي العراق. وعلى الرغم من تحقيق تقدم ملحوظ، فان النقاشات المتمحورة بشأن اعادة بناء العراق بعد عام ٢٠٠٣ أثارت هواجس حول ظهور محتمل لكوردستان مستقلة.

الكورد في العراق: الاستقلال أم الحكم الذاتي

مريم عباس

ت: آسو كريم

ان هذه الورقة تناقش المأزق الذي يواجهه الكورد في العراق: الضغط باتجاه الاستقلال أو تعزيز الحكم الذاتي. ففي أعقاب الحرب العالمية الاولى، خسر الكورد طموحهم في الاستقلال. سنوات بعد ذلك، كانت فظاعات صدام حسين ضد الكورد وراء ظهور دولة الأمر الواقع في كوردستان شمالي العراق. وعلى الرغم من تحقيق تقدم ملحوظ، فان النقاشات المتمحورة بشأن اعادة بناء العراق بعد عام ٢٠٠٣ أثارت هواجس حول ظهور محتمل لكوردستان مستقلة. مع ذلك، فان القادة الكورد أصروا على الحكم الذاتي ضمن عراق فيدرالي، ملاحظين أن الاستقلال ليس له، أي دعم دولي أو اقليمي، فانهم يعتقدون بان الحكم الذاتي يخدم طموحاتهم القومية اكثر في الحفاظ على حكمهم الذاتي الاقليمي.

سقوط نظام صدام حسين البعثي في ٢٠٠٣ أثار انطلاق شرارة نقاش جديد حول مستقبل الكورد في العراق وامكانية نشوء دولة كوردستان المستقلة. وان انحلال الامبراطورية العثمانية في الوقت المبكر من القرن العشرين نثر بذور الدولة الكوردية. فمعاهدة

سيفر، في ١٩٢٠، سمحت بتشكيل كوردستان مستقلة تماما وقابليتها للحياة الا أنها الغتها فيما بعد القوى الامبريالية.

فالكورد يعتقدون بحق بأنهم اُستخدموا طويلا كرهائن في لعبة شريرة لتصفية الاستعمار والامبريالية. ومع انهيار الامبراطورية العثمانية، اعطت بريطانيا وفرنسا وعودا للكورد أن تكون لهم دولتهم المستقلة كما رسمتها معاهدة سيفر. على كل حال، ان مصطفى كمال اتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية، أعلن باختصار بطلان المعاهدة. لذا فالكورد فيما بعد وجدوا أنفسهم كأقليات متعايشة، ومنتشرة فيما بين الدول المتشكلة حديثا: العراق، سوريا، تركيا و ايران. وعلى كل حال فان طموحات الكورد القومية في اقامة دولة مستقلة، أو في الأقل، الحكم الذاتي المحلي بقيت حية وقوية.

فالكورد في العراق تمتعوا باستقلال الأمر الواقع منذ ١٩٩١. وهذا يعود بصورة رئيسة الى عدم- تدخل أمريكا حينما حث الرئيس بوش الكورد على الانتفاضة ضد النظام البعثي ووعد بمساندة ثورتهم. فنهض الكورد في الشمال والعرب الشيعة في الجنوب للاطاحة بنظام البعث، والولايات المتحدة وقعت في مأزق، هل أنها تدعم هذه الثورة أم لا؟ فاختارت عدم دعمها لسببين هما: لأن الادارة الامريكية خافت من أنه لو نجح العرب الشيعة في الجنوب، فانهم يحولون العراق الى دولة ثيوقراطية على غرار النموذج الايراني، وثانيا اذا نجح الكورد في الشمال، فان العراق يتجزأ وأن الكورد ينشدون اقامة دولة مستقلة. وحتى الآن فان الولايات المتحدة قلقة حيال هذين الاحتمالين.

ان رش الكورد بالغازات السامة من قبل قوات صدام في ١٩٨٨ والغزو اللاحق للكويت في آب ١٩٩٠ أديا الى انشاء "جيب آمن" برعاية الامم المتحدة. وكلا من امريكا والمملكة المتحدة وفرتا أنظمة القوات والأسلحة لفرض منطقة الحظر الجوي في عام ١٩٩١. وكوردستان تحولت تدريجيا الى كيان شبه مستقل "سياسيا واداريا، مع مؤسسات سياسية منفصلة (البرلمان والحكومة المحلية والاحزاب السياسية)، البناء التحتي، ترتيبات أمنية والنمو الاقتصادي كل ذلك ساهم في هذه العملية". (Salih 2006)

ان كوردستان ذات حكم ذاتي ضمن العراق هي كيان غير مستقر، وتتمتع تقريبا بالسيطرة الكاملة على مصادرها الطبيعية ونسبيا بحصة كبيرة من موارد العراق النفطية، الا أنها تحمل ملامح وسمات دولة الأمر الواقع ضمن دولة، مع دستورها

وبرلمانها، علمها وبيشمركتها، حدودها وختمها الرسمي الذي تختم به جوازات سفر الزائرين (Carnes, "Qubad" 2007)، وكوردستان خلقت انطباعا مفاده انها كيان ذو سيادة فعلا، وفي الواقع، ولها ممثلها الخاص في واشنطن.

ان القيادة الكوردية وسلطتها لا تنحصران في كوردستان، اذ أن هناك ايضا العديد من ممثلي الكورد في الحكومة الوطنية في بغداد، وان الرئيس الحالي والمنتخب للجمهورية، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية هم من الكورد. علاوة على ذلك، ان الكورد يحتلون ست حقائب وزارية وكذلك عدة مناصب أخرى في مؤسسات وتنظيمات وطنية مختلفة. فهم منذ عام ٢٠٠٣ انخرطوا في اعادة بناء دولة العراق، ويتمتعون أيضا بحكم ذاتي لتسيير شؤونهم الخاصة. ففي الوقت الذي كانت السلطات والمؤسسات الادارية والسياسية قد تمزقت في المنطقة العربية من العراق بصورة سيئة، فانَّ كوردستان تمكنت من الاحتفاظ بمؤسساتها وقوى الشرطة والاستقرار الاقتصادي. وهذا، جزئيا تحقق بفضل حصولها على قدر هائل من المساعدة الاجنبية والجهود المذكورة أعلاه التي بذلتها الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

ان كوردستان، حاليا، هي المنطقة الاكثر أمنا واستقرارا في العراق والهوية الكوردية تنعكس بوضوح في الحياة اليومية. ولحد الفترة الأخيرة، كان العلم الكوردي يرفرف بوحده على الأبنية الحكومية والشارات الكوردية بقيت مرئية على قوى الأمن. كما ان اللغة الكوردية هي اللغة المشتركة للسكان في انحاء الاقليم، وطبقا ل(Gareth Stansfield) في جهودهم الواضحة للخروج "لغويا" من بقية العراق، "فاللغة الانجليزية حاليا ترقت لكي تصبح اللغة الثانية في المدارس والكليات الكوردية" (7 :2006). والجيل الصاعد لا يجيد اللغة العربية، والأجيال الأخرى تراقب بحذر العراق الجديد و تنظر بصورة متفائلة نحو استقلال ممكن.

ان العديد من الكورد نظروا الى غزو العراق في عام ٢٠٠٣ كخطوة منطقية نحو الاستقلال، الا أن مسألة الدولة الكوردية المستقلة تبقى مفتوحة، ومع هذا كان واضحا ان عددا كبيرا من الكورد يرغبون في اقامة دولة لهم، وفي استفتاء غير رسمي أُجري في عام ٢٠٠٥، فان الاكثرية المطلقة من الكورد صوتوا لصالح استقلال كوردستان. الا أن استقلال كوردستان لا يمكن تحقيقه بسهولة، لان الدول المجاورة ليست صديقة لها، وموقعها الجيو- سياسي يشكلان عائقا أمام تحقيق استقلال ناجز، وفي ضوء ظروف كهذه، فان الحكم الذاتي في اطار الدولة العراقية ربما يكون أحسن، وبديلا اكثر قابلية

للحياة من الاستقلال الناجز. على كل حال، فالدعوة الى الحكم الذاتي لا تنفي اهمية المطلب الكوردي بتكوين الدولة فيما بعد.

الدستور العراقي

انهاء نظام صدام البعثي خلق فرصة جديدة للجماعات العرقية- الطائفية الهامشية في العراق للمطالبة بالمشاركة في عملية اعادة بناء الدولة. فالعرب الشيعة، الذين يشكلوب ما يقارب ٦٠% من السكان، انتهزوا هذه الفرصة للكسب السياسي وتولي القيادة، لانهم شعروا بان استبعادهم طويل الامد والمتعمد في المشاركة في حكم البلاد، يبرر تلقائيا استقواءهم واستحواذهم على السلطة في بغداد، وان العرب السنة، الذين يشكلون تقريبا ٢٠% من سكان العراق، اصبحوا بصورة متزايدة قلقين من استثنائهم من الحكم و تهميشهم في عملية تقاسم السلطة الجديد، وامتعضوا من الترتيبات الجديدة للسلطة في ضوء امساكهم بمقاليد السلطة منذ تشكيل الدولة العراقية الى حين سقوط النظام، في حين أن الكورد، على أي حال، كانوا راضين عن حكم اقليمهم ذي الحكم الذاتي في الشمال وتمنوا الاستمرار في حكم انفسهم بانفسهم.

وبانتهاء العملية الدستورية في عام ٢٠٠٥ اوجبت الفدرالية تفويض السلطة الى محافظات محلية. ان الدستور كان، في الجوهر وبالاساس، اجراءا شيعيا- كورديا مبنيا على تقاسم السلطة وعلى الرغم من انتصار الكورد الظاهري، فان البعض يشككون، اذ يشيرون الى انه ليست هناك اشارة الى حدود كوردستان في الدستور (Fatah 2006). وزيادة على ذلك، فان ٤٠% من المناطق الكوردية المتنازع عليها تقع خارج ولاية حكومة اقليم كوردستان، ولم يعترف بها كجزء من اقليم كوردستان (المصدر نفسه). ومع ذلك، وفي ظل هذا الدستور الجديد، فان الكورد احتفظوا بنفوذهم فيما يتعلق بمستقبل كوردستان بالاضافة الى اعادة بناء العراق.

اثناء المفاوضات لكتابة مسودة دستور العراق، فان العضو السني في اللجنة، كمال حمدون، على الرغم من رفضه للفدرالية كنظام لدولة العراق، قال، "نحن نقبل الاقليم الكوردي كما كان قبل الحرب".(qtd. In Ahmed 2007: 171).. ومع ذلك، فان الفدرالية ثبتت في الدستور الذي تمت المصادقة عليه في كانون الاول ٢٠٠٥، اعترافا رسميا بالحكم الذاتي لكوردستان مثلا. بالاضافة الى ذلك، فان اللغتين العربية والكوردية تم

الاعتراف بهما كلغتين رسميتين. وفيما يخص استقلال كوردستان، فان السنة والشيعة عارضوه بقوة. وبناء عليه، فان كوردستان ستبقى كأقليم ذي حكم ذاتي ضمن عراق فدرالي، مع عدم اجراء أي تغيير فيما يتعلق بالحكم الذاتي والحكم.

الرؤية الكوردية: الذرائعيون والانفصاليون

بعض الكورد يشعرون بان الدستور يقدم أملا قليلا لقيام دولة كوردية مستقلة لكوردستان في المستقبل. انهم يرون أن "فكرة الفدرالية كشكل مبسط جدا من الاتحادية"،لا تنفعهم. ويقولون ان الفدراسيون لا يقر الواقع الاثني، التأريخي والجيوغرافي للوطن الكوردي" (Fatah) والأغلبية المطلقة تقريبا من الكورد شاركوا في انتخابات كانون الثاني ٢٠٠٥ على أمل انها تؤدي الى "اقامة استقلال كوردي و انفصال اقليمهم عن العراق" (Spinner 2005: A18) . والآخرون كانوا سعداء تماما لكي يكونوا جزءً من "الحوار" وانهم غير مبالين بنفوذ الحكومة المركزية على الاقليم الكوردي (المصدر نفسه). ومع ذلك فالكورد الاخرون انتقدوا قياداتهم السياسية بشأن ترسيخ "نظام فدرالي للحكومة، يجعل من الاقليم الكوردي ولاية ضمن العراق" (المصدر نفسه).اذ كان واضحا أنه ليس هناك حل واحد يُرضي الجميع.

وفيما يخص الموقف من الاستقلال بين سكان كوردستان، هناك مجموعتان: الذرائعيون والانفصاليون، فان الذرائعيين يفضلون كوردستان مستقلة، الا أنهم يدركون انها غير قابلة للتحقيق حاليا، فأنهم يسعون الى توطيد الحكم الذاتي الاقليمي ويعتقدون بانه يجب أن توجد كوردستان ضمن عراق اتحادي، ولكن مع تقاسم منصف للسلطة فيما بين كافة الجماعات الدينية والعرقية. والقيادة الكوردية هم من بين الذرائعيين الذين يعتقدون بأن الكورد يستفيدون من تقاسم السلطة في بغداد، ويكون الكورد في موقع أضعف لو كانوا مستقلين، للمفاوضة من أجل مطالب الكورد القومية. فان مطالبتهم بالحكم الذاتي تعني الاستقلال الذاتي الذي يمكن حمايته من الهجمات المحتملة للبلدان المجاورة (Lawrence 2008: 312). وفوق هذا كله، فببقائهم كجزء من العراق، يبقون كمشاركين في اعادة بناء الدولة العراقية.

ان الانفصاليين يدعون أنه من دون الاستقلال ليست هناك ضمانات ضد القمع المستقبلي من قبل الحكومة المركزية. فانهم يستذكرون حملات الأنفال سيئة الصيت، حينما أستخدمت الأسلحة الكيمياوية ضد المدنيين الكورد. فأنهم "جربوا العراق مع

الغاز السام والاعدامات الجماعية" (Galbraith 2003). وبالنسبة للانفصاليين فان دولة كوردستان المستقلة هي المنفذ الوحيد لحماية المصالح القومية الكوردية. فان انتخابات كانون الثاني ٢٠٠٥ ولدت استياء بين الكورد الذين اتهموا قياداتهم السياسية بتقديم التنازلات وتبنيهم لنظام فدرالي يسمح فقط لكوردستان أن تكون كمحافظة ضمن العراق".(Spinner)

ان القيادات الكوردية كانت راسخة في اعتقادها بان الاستقلال ليس عمليا في الوقت الحاضر، جزئيا، بسبب أنهم لا يريدون أن يصوَّروا كأنهم هم مدمرو الأمة العراقية. ان فاضل ميراني، كقائد بارز في حكومة اقليم كوردستان، يقر أن الاستقلال "هو الهدف الذي يجب أن يناضلوا من أجله – ولكن يضيف أنه عندما يحين الوقت"(Spinner) "فأنهم يعرفون أنه مهم لهم أن تكون كوردستان جزءً ستراتيجيا من العراق، فهم يعرفون ان انعدام السلم والاستقرار يؤثر عليهم" (المصدر نفسه).

ان الانفصاليين يحاججون بانه منذ الحرب العالمية الأولى، فان سياسات الانصهار التي تمارسها الدول المجاورة بحق السكان الكورد بصورة رئيسة هي محاولات لقمع أية مطالبة اثنية- قومية بالاستقلال. فانهم يؤكدون انه مع وجود الانصهار الاجباري في هذه البلدان، وامكانية تشريع سياسات مشابهة في العراق، فان الهوية المميزة للكورد ستكون في طريقها الى الزوال (Gunter 2004: 106). ومع فرصتهم الضعيفة بالاستقلال، كما يعتقد الانفصاليون، فان الامكانية الوحيدة هي توسيع رقعة الحرب الأهلية وانهيار الحكومة المركزية العراقية (Stockman). ففي هذه النقطة فان الكورد على الأرجح يتهيؤون من أجل الاستقلال (المصدر نفسه).

الاستقلال

ان الأقليات العرقية والدينية في أية دولة غالبا ما تواجه احتماليين: الطرد والترحيل أو الانصهار(Kellas 1998). ففي ظروف كهذه، فان القوى السائدة تفرض هيمنتها على شؤون المواطنين بهدف بناء دولة- قومية (المصدر نفسه).ان بعضا من الكورد يخافون من أنه من دون قيام دولة مستقلة، فانهم معرضون الى قمع مستقبلي اذا ما بقوا كأقلية ضمن العراق. ان السيادة الكاملة، كما يقولون، تزيل الاحتمالات المستقبلية للتطهير العرقي والانتقام ضدهم ، اذ أنهم جربوا العراق مع الغاز السام والاعدامات الجماعية" .(Galbraith 2003).

على الرغم من أن هذه المخاوف لها ما يبررها، فان الآخرين يقولون ان استقلال الكورد سوف تكون له عواقب خطيرة سياسية واقتصادية. وفضلا عن ذلك، ربما تتلوها هجمات من قبل الدول المجاورة، فان تركيا- وأقليتها السكانية الكوردية ضجرة وغير مستقرة دائما- قد هددت بالاجتياح في حالة قيام دولة كوردستان المستقلة. كما ان ايران وسوريا، أيضا، عبرتا عن معارضتهما للاستقلال. فانهما تخشيان من ان هذا الحدث، سوف يشجع سكانها الكورد على المطالبة بالحكم الذاتي، ان لم يكن انفصالا مكشوفا، وان الحليف الأساسي للكورد، والمتمثل بالولايات المتحدة أيضا لا تساند تأسيس دولة كوردستان ذات السيادة، بل تساند فقط عراقا موحدا وتخاف من التأثير المربك للاستقلال الذي ربما ينسحب على المنطقة كلها. والعامل الرئيسي الآخر هو أن الولايات المتحدة لا تريد اثارة غضب تركيا. فالمنطق السياسي يفترض ان الولايات المتحدة سوف تكون في جانب حليف ناتو الرئيسي في أي نزاع حول مستقبل الكورد، وفيما اذا خُيرت بين مساندة تركيا أو مساندة الكورد في أي نزاع فانها تختار تركيا "في كل وقت". (Phillips 2005: 36). وبناء عليه، فمن غير المحتمل جدا ان الولايات المتحدة تمد يد المساعدة الى طموحات الكورد لتكون لهم دولة. في الحقيقة ان واشنطن أكدت مرارا وتكرارا أنها لا تفضل جماعة عراقية على أخرى وبينت أكثر بأنه على المجموعات الثلاث مجتمعة العمل سوية لبناء دولة موحدة (Stockman 2007).

وفي الفترة التي قادت الى الاجتياح، فان الكورد طمأنوا ادارة بوش بانهم لا يضغطون باتجاه الاستقلال، وقيل ان الكورد يرغبون فقط في الحفاظ على حكم اقليم كوردستان بأنفسهم. .(Galbraith 2003) . وعلى الرغم من الرغبة في الاستقلال الا أن القيادة الكوردية لم تتنكر لتعهداتها، فالقيادة ألحت بصورة منتظمة على الحكم الذاتي ضمن عراق فيدرالي بينما كانوا يشاركون في اعادة بناء الدولة العراقية.

ان القيادة الكوردية تعترف برغبتها في تكوين دولة ذات سيادة، ولكن تدرك ان هذه العملية ليست مجدية، ففي خطابه التتويجي كأول رئيس لاقليم كوردستان العراق، قال السيد مسعود بارزاني "أنا تعهدت بالحفاظ على انجازات كوردستان وتنفيذ واجباتي بكل اخلاص". وأضاف قائلا "أعمل كل ما باستطاعتي لتعزيز الوحدة الوطنية والاخوة العربية- الكوردية"(qtd. In Ahmed 2007: 162). وفيما بعد، فان الكورد في العراق انتقدوا الطالباني لتفضله "بان تأسيس دولة كوردية هو حلم مستحيل... فان الكورد يتمتعون باستقرار أكثر ضمن وحدة العراق بدلا من جزء من بلد مجزأ" (Aslan 2007)،

عنوان مقال ل "آزاد اسلان" "عزيزي السيد الرئيس، الدولة الكوردية ليست بحلم، فانها حتمية لا محالة"، يشير فيه الى تمسك الكورد المتواصل بالاستقلال.

ووفقا لطالباني "...هناك مزايا لحالة مستقرة في بغداد.. فاذا أصبح العراق مستقرا، ومجتمعا ديمقراطيا نسبيا، فانه سيكون مساعدا لكوردستان" (qtd. In Carnes, "Qubad" 2007). فضلا عن ذلك، فان حكومة اقليم كوردستان لا تخاطر بعلاقتها الاقتصادية المربحة التي أقامتها مع بغداد، ولا تعرض مكاسبها للخطر في مقابل الاستقلال (المصدر نفسه). فان ثمن الاستقلال عال جدا والقيادة الكوردية ليست راغبة في المساومة على الحكم الذاتي بعد. وفي محاولة لاظهار تضامنها مع بقية أنحاء العراق، فان حكومة أقليم كوردستان قررت رفع العلم العراقي الجديد الى جانب علم كوردستان في الاقليم الكوردي .(Kurds Display New Iraqi Flag" 2008") ويلاحظ جيمز فيرون ان "الأمم لا تولد وانما تصنع، جزئيا استجابة للحوافز الدولية و سياسات القوى العظمى" (394 :2004). كما ان الدول الاقليمية لا تسرها مشاركة كوردستان مستقلة في حدودها. كما ان الدعم الدولي لخلق دول مستقلة جديدة محدود، والذي من الممكن رؤيته في حالة كوسوفو، في شباط ٢٠٠٨. علاوة على ذلك، ان أي استقلال كوردي مستقبلي يرمز الى وجود قواعد عسكرية امريكية في كوردستان بشكل غير محدد، سوف يُهدد سيادتها كما ستكون هدفا محتملا لكونها متحالفة مع الولايات المتحدة. وهكذا فان القاعدة العسكرية الامريكية لا ترضي ايران وسوريا، لانهما تخافان من هجمات أمريكية من كوردستان. والولايات المتحدة تُنظر اليها كدولة محتلة، تخلق دافعا لمنظمات ارهابية بالمضي قدما في رسالتها في مقاومة الاحتلال، كما ان الوجود العسكري الأمريكي لا يردع القوات التركية والايرانية من العبور الى اقليم الشمال العراقي على اساس استهداف المتمردين الكورد.

اثناء أعوام الحظر الجوي، فان تركيا وجهت بصورة دورية ضربات عسكرية في داخل الاقليم الكوردي بعلم تام من الادارة الامريكية. فهكذا وبحجة استهداف الجماعة الكوردية المتمردة: حزب العمال الكوردستاني، سببت الضربات الجوية التركية في داخل العراق مقتل عدد من المدنيين الكورد العراقيين (Human Rights Watch Report 1998). وفي مناسبات عديدة، دافعت ادارة كلنتون عن هجمات تركيا داخل "المنطقة الآمنة" المحمية من قبل الأمريكان وأفادت ان "تركيا هي حليفة ونحن ليس لدينا سبب في الاستفسار عن الحاجة لهجوم عبر الحدود"(المصدر نفسه).ان الادارة

الامريكية هددت "باتخاذ ما تراه ضروريا من أعمال لمنع التدخل العراقي والايراني في منطقة الحظر الجوي" .(ibid.) في حين لم تمنع الغارات التركية، فان انقرة لوحت مرارا بالتهديدات العسكرية في حالة قيام كوردستان مستقلة، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة بامكانها ابعاد هجمات مستقبلية كهذه، الا أن الستراتيجية السياسية تمنعها من الوقوف الى جانب الكورد بالضد من تركيا.

الحكم الذاتي:

يقول تيد غور "...ان التهديدات بتقسيم بلد ما تجب معالجتها من خلال تفويض سلطة الدولة، والقتال الجماعي حول الوصول الى سلطة الدولة والموارد يجب منعه من خلال الاعتراف بحقوق الجماعة وتقاسم السلطة" .(52 :2000). ويوصي غور بالحكم الذاتي كحل لانهاء النزاع، كما انه (اي الحكم الذاتي) لا يؤدي الى الانفصال أو الاستقلال (المصدر نفسه). وعلى الرغم من أن النتائج المرضية لكل الأطراف نادرة، الا أن أكثرية الحركات العرقية- القومية تصالحت على نتائج أقل من الاستقلال. وهذا يعود بالدرجة الرئيسة الى الوضعية الضعيفة للمتفاوضين. ان النزاعات من أجل استقلال كامل، كما يضيف غور، غالبا ما تؤدي الى "حكم ذاتي متفق عليه أو حكم ذاتي أمر الواقع ضمن الدولة" (57). فاذا كان الحكم الذاتي هو حل لانهاء النزاعات، فلماذا تهمل دول معينة هذه العملية؟ غور يفيد ان الجواب بصورة غير متغيرة يكمن في استحواذ الحكومة المركزية على السلطة. وهناك حركات عرقية- قومية قليلة تكافح وتقاتل من أجل استقلال مطلق. اما مقاتلو الشيشان وتيمور الشرقية ربما يمكن أن ينظر اليهم كأستثناء (المصدر نفسه).

ان تعريف الحكم الذاتي ذو مستويات متعددة، يقبل به بصورة عامة ك"مفهوم ووسيلة مفيدة والتي يمكن من خلالها تلبية المطالبة المتنافسة بالحقوق السياسية وحقوق الأقليات" (Yildiz 2007: 197).ان جماعة أقلية ضمن الدولة التي تعيش فيها، مُنح لها حكم ذاتي يعتمد على البناء التحتي السياسي والاقتصادي والثقافي للدولة. ان الحكم الذاتي لا يضمن لقومية ضمن دولة ذات سيادة، اعترافا دوليا، أو لا يسمح لها بامتلاك الصلاحية " في مجالات الدفاع أو الشؤون الخارجية مثلا" (ibid. 198) ، فعلى كل حال، في الوقت نفسه يمكن للحكم الذاتي أن يتضمن اقامة علاقات دبلوماسية، اقتصادية وسياسية مستقلة مع البلدان الأخرى.

يقول ارنست غلنر "ان قدرة و شخصية أمة ما تعتمدان على نسبة نموها السنوية ونفوذها الاقتصادي، ولا على الخريطة التي تديرانهما لكي تصبغهما بلونها الخاص" (1997: 107-8). فحاليا كوردستان تعتمد في ميزانيتها على الحكومة المركزية، وفي ظل الدستور العراقي ان حكومة اقليم كوردستان تتسلّم ١٧% من الميزانية الوطنية (Carnes, "Expert" 2007). وان ميزانية حكومة اقليم كوردستان وصلت في سنة ٢٠٠٧ المالية الى حوالي ٤.٧ بليون دولار. وهذا يشكل تقريبا حوالي ٩٥% من ميزانية الاقليم السنوية وتذهب منا ٦٤% الى قطاع الرواتب الخاصة (Carnes, "Qubad" 2007). ولحد الآن ليس هناك مستثمرون دوليون أو مصارف أجنبية في الاقليم (Gunter 2008).

منذ ٢٠٠٣، فان حكومة اقليم كوردستان اتحدت مع ادارة الأتحاد الوطني الكوردستاني، وتدعو الى الحكم الذاتي ضمن عراق فدرالي. ان كلا التنظيمين (الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني) يدرك أن كوردستان في موقع أكثر قوة لكي تنمو وتزدهر ضمن اقتصاد مزدهر ومتكافئ في العراق ككل، وان حكومة اقليم كوردستان تقر أنه بغياب الدعم الدولي، فالمطالبة بالانفصال والاستقلال لا يمكن أن تكون عملية ومفيدة. وفي تصريح صادر من حكومة اقليم كوردستان في ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٦، تقر القيادة أن التقدم وأمن ومستقبل كوردستان أمور ممكنة فقط من خلال "نشوء وتطور عراق ديمقراطي واتحادي". والبيان أكد اهمية الدستور العراقي في "اقامة عراق ديمقراطي واتحادي حقيقي" والدعوة الى اعادة كركوك... الى أحضان أقليم كوردستان" (KRG Unification Agreement 2006). فان الكورد يريدون سيطرة حقيقية على اقليمهم والسيطرة الاسمية على أية قوات عسكرية آتية من بغداد الى أرض كوردستان. ان رئيس أقليم كوردستان، مسعود بارزاني، ذهب بعيدا حين قال "الشيء الحقيقي الذي نحتاجه للعمل عليه في برلمان كوردستان هو أنه يجب أن يكون لاقليم كوردستان دستور وقوانين خاصة به. وليست هناك حاجة مطلقا لأن تكون هناك صلة بين ما يجري في بغداد، كي يُعمل به هنا أيضا" (qtd. In Eland, Newman, et.al. 2005: 2).

العلاقات مع ايران وتركيا

منذ تكوين كورستان شبه مستقلة، فان أنقرة أصبحت شريكا تجاريا رئيسيا لها. فهكذا، في الفترة بعد الغزو، أصبح بناء مطار جديد في أربيل ممكنا بمساعدة كل من تركيا وبريطانيا. (Does Independence Beckon, 2007") وموافقة أنقرة على عملية Pet Oil and General Energy Oil and Gas فى الاقليم الكوردي هي "علاقة حكومة مع حكومة"، وهذا اعتراف ضمني بامكانية قيام "كيان مستقبلي مع حكومة ذات سيادة، حتى اذا لم تكن دولة"(Olson 2004: 116). ان الاقليم الشمالي كأمر واقع حافظ على علاقات اقتصادية وسياسية جيدة مع طهران أيضا. فوفقا لتصريحات السلطات الكوردية، ان قيمة التجارة الاقتصادية بين كوردستان و طهران وصلت تقريبا الى ٨٠٠ مليون دولار سنويا (Rafaat 2007: 83). ووجود القنصليتين الايرانيتين في أربيل (عاصمة كوردستان) والسليمانية، والتمثيل الرسمي لحكومة أقليم كوردستان في طهران، يوضحان اعتراف طهران بكوردستان حتى وان لم يضفيا الشرعية عليها (المصدر نفسه). وعلى كل، فان حركات كوردية ايرانية تعارض حكومة طهران، لها قواعدها في كوردستان العراق. فمنذ ١٩٩١، فان حكومة أقليم كوردستان بذلت جهودا شاقة لمنع الجماعات المسلحة من العمل انطلاقا من العراق. ان حكومة أقليم كوردستان تعترف بأن علاقات طيبة مع جيرانها ضرورية لتحقيق القوة السياسية والازدهار الاقتصادي. فمن دون علاقات اقتصادية مستمرة مع جيرانها، فان كوردستان تخاطر بتطورها و ازدهارها اللذين أحرزتهما منذ ١٩٩١.

مجلس الامن للامم المتحدة: رد فعله

يحاجج جرام فولر أن "النظام الدولي خصيصا لا يرحب بتفكك الدول القائمة و الاهتياج والعنف الناتجين عنه".(1993: 109)، وفضلا عن ذلك، يعترف بشرعية الدول الجديدة غالبا من خلال وجود الجماعة الانفصالية في الأمم المتحدة، اذا لم تكن عضو، وفى الأقل كعضو مراقب. والكورد ليس لهم ممثلون في الأمم المتحدة، على الرغم من أن أمما أخرى بلا دول مثل الفلسطينيين لهم مراقبون. ان عدم رغبة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في الاعتراف بكوردستان كدولة مستقلة، الى درجة ما، يعود الى أن بعض أعضاء المجلس يواجهون تحديات جماعاتهم الانفصالية داخل أوطانهم. وهذا ما يمكن أن نراه في حالة الشيشانيين في داخل روسيا أو التبتيين والأقليات المسلمة في

الصين. وأكثر من ذلك، فان الولايات المتحدة ليست راغبة في التصدي لتركيا، حليفتها في ناتو، بمساندة القضية الكوردية من أجل الاستقلال.

الاستنتاجات:

ان أية مخططات طويلة الأمد لكوردستان في العراق يجب أن تستند الى رؤية ستراتيجية وطنية وكذلك أخذ نظيرتها الاقليمية بنظر الاعتبار، لاسباب نوقشت هنا، فان قيام دولة مستقلة لكوردستان غير عملية في الوقت الحاضر ولا تنسجم مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية والممثلين الدوليين الآخرين، وفضلا عن هذا، فان جيران كوردستان، لاسيما الذين يتواجد بينهم السكان الكورد العنيدون لا يوافقون على اعادة رسم الحدود التي تقود الى عدم استقرار أممها. والحالة هذه، فهناك هاجس دولي بان تكوين كوردستان مستقلة يمنح دافعا للجماعات الانفصالية الأخرى في أنحاء العالم.

والبعض يعتقد بأن الكورد نالوا شيئا أفضل من العضوية في الأمم المتحدة، ف"كويل لورانس" في في كتابه (أمة غير مرئية-٢٠٠٨) يقول ان الكورد اكتسبوا وضعية أفضل من استقلال شرعي (2008) فانهم يتمتعون بسيادة الأمر الواقع من دون أن يعطوا جيرانهم القلقين- تركيا وايران أو يكونوا- مبررا للاجتياح أو التدخل في حكمهم الذاتي والاستقلال الذاتي (المصدر نفسه).

والكورد أسسوا لحقوق أكثر في الدستور العراقي الجديد ونالوها، لا سيما اذ منح الدستور لهم الحكم الذاتي في كوردستان. فهذه الحقوق تتضمن قابلية الحفاظ على الحكم الذاتي في المحافظات الثلاث التي يحكمونها، والاحتفاظ بجيش على طول الحدود مع تركيا وايران وسوريا، والقدرة على اقامة علاقات اقتصادية، سياسية ودبلوماسية مع الدول الأخرى. وبالرغم من ان الكورد يرغبون بشدة في الاستقلال، فانهم في الأقل ولأجل قصير، لهم حكمهم الذاتي المختار. فالاعتراف الدولي سمح للكورد بالتمتع باقامة علاقات دبلوماسية مع الأمم الأخرى وعقد صفقات أضافية في التجارة والاستثمار الدوليين، ومهما يكن المستقبل الذي تنتظره كوردستان، فان الظروف الحاضرة تنعم عليهم بالاعتراف بهويتهم وثقافتهم العرقية المتميزة.

SOURCES

"Does Independence Beckon?" Economist 384.8545 (2007): 47-50.
"Kurds Display New Iraqi National Flag." Middle East Times Jan. 2008. Retrieved on 28 May 2008.
Ahmed, Mohammed. "Laying the Foundation for a Kurdistan State in Iraq: 1991-2006."
Evolution of Kurdish Nationalism. Ed. Mohammed Ahmed and Michael Gunter. Mazda Publishers, Inc: California, 2007. 149-185.
Aslan, Azad. "Dear Mr. President! Kurdish State, not a Dream, its Inevitable." Globe Chronicle Feb. 2007. Retrieved on 12 June 2008.
Carnes, Stephanie. "Expert: Economic Obstacles in Kurdistan." Middle East Times
Nov. 2007. Retrieved on 12 June 2008.
---. "Qubad Talabani: Profits from Foreign Investment will be reinvested in the
Kurdistan Region." Middle East Times Nov. 2007. Retrieved on 12 June 2008.
Eland, Ivan, Robert Newman, Jeffrey White, and Patrick Lang. "Occupied Iraq: One
Country, Many Wars." Middle East Policy 12.3 (2005): 1-28.
Fatah, Rebwar. "Kurdistan: Identity Denied in the Iraqi Constitution." Unrepresented
Nations and Peoples Organization Mar. 2006. Retrieved on 28 May 2008.
Fearon, James. "Separatist Wars, Partition, and World Order." Security Studies 13.4
(2004): 394-415.
Fuller, Graham. "The Fate of the Kurds." Foreign Affairs 72.2 (1993): 108-

121.
Galbraith, Peter. “Flashback for the Kurds.” New York Times 19 Feb. 2003. Retrieved on 28 May 2008.
Gellner, Ernest. Nationalism. London: Weidenfeld and Nicolson, 1997.
Gunter, Michael. The Kurds Ascending: the Evolving Solution to the Kurdish Problem in Iraq and Turkey. Palgrave MacMillan: 2008.
---. “Why Kurdish Statehood is Unlikely.” Ed. Hakan Yavuz and Michael Gunter. “The Kurds in Iraq.” Middle East Policy x1.1 (2004): 106-110.
Gurr, Ted Robert. “Ethnic Warfare on the Wane.” Foreign Affairs 79.3 (2000): 52-64.
Human Rights Watch. “Iraq and Iraqi Kurdistan.” Human Rights Watch World Report 1998.
Kellas, James. The Politics of Nationalism and Ethnicity. St. Martin’s Press: New York,
1998.
Kurdistan Regional Government. “Kurdistan Regional Government Unification Agreement.” Kurdistan Regional Government 21 Jan. 2006. Retrieved on 28 May 2008.
Lawrence, Quil. Invisible Nation: How the Kurds’ Quest for Statehood is Shaping Iraq and the Middle East. Walker and Company: New York, 2008.
Olson, Robert. “Turkey and Kurdistan-Iraq, 2003.” Ed. Hakan Yavuz and Michael Gunter. “The Kurds in Iraq.” Middle East Policy x1.1 (2004): 115-119.
Phillips, David. Losing Iraq: Inside the Post-war Reconstruction Fiasco. Westview: Westview Press, 2005.
Rafaat, Aram. “U.S.-Kurdish Relations in Post-Invasion Iraq.” Middle East Review of International Affairs 11.4 (2007): 79-89.
Salih, Khaled. “Kurdistan's future.” Bitterlemons-International.org, Middle East

Roundtable 4.12 (2006). 10 June 2008.
Spinner, Jackie. “Iraq’s Kurds Ambivalent on Charter: Already Semi-Autonomous,
Region Is Wary of Change.” Washington Post 13 Oct. 2005: A18. 15 June 2008
1202263.html>.
Stansfield, Gareth. “Divide and Heal.” Prospect Magazine 122 (2006): 7.
Stockman, Farah. “Iraqi Kurds Seek Promise of Protection from US.” The Boston Globe 15 Feb. 2007. Retrieved on 15 June 2008.
Yildiz, Kerim. The Kurds in Iraq: Past, Present and Future. Pluto Press: London, 2007.